

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما

نظم الجمان¹

الحمد لله الذي أبان مجاز الحقيقة لكل من تمسك بحبل الشريعة. فاستنار قلبه بنور الهداية. حتى صارت نفسه الأمانة بالسوء لمولاه مطيعة. و الصلاة و السلام على من أرسله الله للعالمين رحمة. يعسوب الأرواح و ينبوع كل حكمة. و الوساطة في كل نعمة.

محمد سيد الكونين و الثقلين و الفريقين من عرب و من عجم²

و على آله المطهرين من الرجس تطهيرا. و على أصحابه الذين أنار الله بهم طريق الحق تنويرا. و على كل من اقتفى أثرهم بإحسان على ممر الأزمان. و بعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه. الراجي مغفرته و رحماه، من لم يزل على أبواب فضل ربه يعرج. أحمد بن الحاج العياشي سكيرج. كان الله له و لوالديه. و أحسن لهما و إليه مع سائر المسلمين. و جعل الجميع من المقربين لديه آمين.

لما سأل مني بعض الشرفاء الأعيان. أصلح الله لي و له الأحوال في كل مقام مدى الأحيان. أن أطالع معه أرجوزة العلامة المحقق الدراكة المدقق المبرز في حلبة النظم و النشر على منصة الإتقان بين سائر الأقران. الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران³ رحمه الله تعالى. التي وضعها في علم البيان. و أسعفته في مقصوده على أني في

¹ نظم الجمان في شرح نظم ابن كيران، للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، شرع في تصنيفه أواخر سنة 1328هـ_1910م، بيد أنه اكتفى بكتابة صفحات قليلة منه، ثم انشغل عنه بكتبه الأخرى، أما اختياره لعنوانه فالذي يبدو لي أنه استقاه من تأليف في الغرض نفسه للعلامة عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي، مؤلف نظم الجمان في علم البيان.

² هو البيت رقم 34 من بردة المديح للشيخ سيدي محمد بن سعيد البوصيري.

³ الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن كيران، من أعيان علماء المغرب في عصره، ولد بفاس سنة 1172 هـ، له مؤلفات تنيف على العشرين، من بينها رسائل عديدة في النحو و المنطق و البيان، أذكر منها: نظم للأجرومية، و رسالة في (لو) الشرطية، و رسالة في الهمزة المسهلة، ورسالة في النكرة و اسم الجنس و علمه و المعرف بلام الحقيقة و لام العهد، و نظم في المجاز و الإستعارات، و له تفسير للقرآن الكريم من سورة النساء إلى قوله تعالى في سورة غافر: يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع.

توفي بموطنه بفاس سنة 1227 هـ، أنظر ترجمته في النبوغ المغرب لعبدالله كنون 1: 294، شجرة النور الزكية لمخلوف 1: 539_540 رقم 1516. إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 108. سلوة الأنفاس، للكتاني 3: 2_3. الفكر السامي، للحجوي 2: 351 رقم 781. الإستقصا، للناصري 4: 149. الأعلام للزركلي 6: 178. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر 345_347.

نفسى بين الأقران حقير الشأن. و لست من عداد فرسان هذا الميدان، أردت أن أجعل عليها تقييدا. يكون إن شاء الله تعالى لكل طالب مفيدا. وسميته **نظم الجمان في شرح نظم ابن كيران في البيان**. و على الله قصد السبيل، فهو حسبي و نعم الوكيل.

قال الناظم رحمه الله: (البسمة) غير خاف عمن كان بالأمر بصيرا. أن ترك الكلام على البسمة بما يناسب الفن المشروع فيه يرى قصورا أو تقصيرا. و ذكر ذلك فيه أداء حقين: أولهما حق المشروع فيه من هذه الحيثية، و ثانيهما حق البسمة من ذلك الفن كذلك. على أن ما لا يمكن كله لا يترك بعضه أو جلّه، فلننكلم على بعض ذلك أداءً لهذين الحقين. و من الله أسأل الإعانة والتوفيق لسبيل الحق من غير مين، فأقول:

ابتدأ نظمه بالبسمة عملا بقوله صلى الله عليه و سلم أول ما كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبت كتابا فاجعلوها في أوله و في رواية: أول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبت كتابا فاكتبها أوله، و هي مفتاح كل كتاب أنزل. و لما نزل عليّ بها جبريل أعادها ثلاثا، و قال: هي لك و لأمتك، فمرهم أن لا يدعوها في شيء من أمورهم، فإني لم أدعها طرفة عين، فقد نزلت على أبيك آدم عليه السلام. و كذلك الملائكة و خوفا من الوقوع فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجزم¹، و في رواية: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع². و في رواية: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبت³. الروايات الثلاث مختلفة و في هذا الحديث روايات بسطنا الكلام عليها في غير هذا التقييد نظما و نثرا و الله الموفق، و مما يتعلق بها من هذا الفن مباحث: الأول في بابها: اعلم أولا أن البناء لها معان أشار لها الشيخ ابن عبد الرحمن البيدري بقوله على سبيل التورية

و بدل صحابا قابلوك بالاستعلا
يمينا تحز للبا معانيها كـ

تعد لصوقا و استعن بتسبب
و زد بعضهم إن جاوز الظرف غاية

¹ أنظر عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، للعيني (كتاب الإيمان) 1: 101، ثم قال الشارح عقب ذكره للحديث: فهذا و إن كانت البسمة مغنية عنه لكنه كررها لزيادة الإعتناء على التمسك بالسنة، و للتبرك بابتداء اسم الله تعالى في كل أمر. إهـ. و انظر أيضا نيل الأوطار للشوكاني (أبواب صفة الوضوء و فرضه) باب التسمية للوضوء 1: 159.

² أنظر جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الكاف مع اللام) 5: 430 رقم 15761.

³ يعزز هذه الرواية ما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز و جل فهو أبت، أو قال أقطع. إهـ. مسند الإمام أحمد (مسند أبي هريرة رضي الله عنه) 3: 43 رقم 8648. سنن النسائي الكبرى (كتاب عمل اليوم و الليلة) ما يستحب من الكلام عند الحاجة رقم 10232.

قال المحقق الصبان¹ في رسالته: فإن قلت ورود الباء كغيرها من حروف الجر لمعان مختلفة هل هو على طريق الاشتراك اللفظي أو الحقيقة أو المجاز؟ قلت: المعاني المختلفة الوارد لها حرف الجر إن تبادرت منه كالإستعانة و المصاحبة والسببية و التعدية الخاصة بالنسبة للباء فحقيقة فيكون الحرف مشتركا بينها لأن التبادر علامة الحقيقة. و لا حاجة لتكلف معنى كلي جامع لتلك المعاني و جعله الموضوع له الحرف إلى آخر كلامه.

و اعلم أنه اختلف في أصالة الباء من البسمة و معانيها، فقليل بزيادتها. فيكون إسم مرفوعا بالإبتداء تقديرا لا محلا، كقولك بحسبك درهم، و الخبر محذوف، و التقدير اسم الله مبدوء به، أو أبدأ به بداءة قوية، أي بحسن إخلاص و نية، وأخذنا ذلك من كون الحرف الزائد يدل على التأكيد كما الرضى، و إلا كان عبثا لا يقع من العرب، و قولهم الزائد لا معنى له، أي غير التأكيد، ففي الباء مجاز بالزيادة على هذا القول، و مجاز بحذف الخبر على قول من يقول إن الحذف مجاز مطلقا، و قيل بأصالتها، و حقيقتها الإلصاق الذي لا يفارق الباء، و عليه اقتصر سيبويه، و الإلصاق ينقسم إلى قسمين، حقيقي كأمسكت بزيد، إذا قبضت على شيء من جسمه، أو على ما يحبسه من يد أو نحوه، و مجازي نحو قولك مررت بزيد، أي ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد، ثم استعملت هنا في غير معناها الأصلي، وهو الإستعانة على وجه الإستعارة التبعية كما سيقول الناظم:

و انسب إلى التبعية إن تقع في صفة أو في فعل أو في حرف

و لك أن تجعلها من قبيل المجاز المرسل علانية الإطلاق و التقييد و تقرير الإستعارة على الأول شبهة الإرتباط على وجه الإستعانة بالإرتباط على وجه الإلصاق بجامع مطلق الإرتباط في كل مسرى التشبيه للجزئيات. فاستعيرت الباء الموضوعة للإلصاق الجزئي للإستعانة الجزئية على طريق التبعية. و على الثاني تقول إن الباء موضوعة للإرتباط المقيد بالإلصاق، فأطلقت على ذلك و استعملت في الإرتباط على وجه الإستعانة.

¹ محمد بن علي الصبان، عالم بالعربية و الأدب، له مصنفات كثيرة منها: حاشية على شرح الأشموني على الألفية لابن مالك، و الكافية الشافية في علمي العروض و القافية، و إتحاف أهل الإسلام بما يتعلق بالمصطفى و أهل بيته الكرام، و حاشية على شرح الرسالة العضدية، و حاشية على السعد، إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى.

توفي بالقاهرة عام 1206 هـ، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك 2: 84، الأعلام للزركلي 6: 297. معجم المطبوعات لسركيس 1194.

المطلب الرابع في معانيها

قد اختلف العلماء رحمهم الله في معنى الباء من البسمة فقيل للمصاحبة، و هي التي يصلح في وضعها مع كقوله تعالى اهبط بسلام¹، و المراد بالمصاحبة هنا بقريظة المقام التبرك، و قيل للإستعانة، و هذا ليس فيه سوء أدب كما يتبادر للفهم، لأن الله تبارك و تعالى هو المعين.

تهيأ له من كل صعب مراده
فأول ما يجني عليه اجتهاده²

إذا كان عون الله للمرء ناصرا
و إن لم يكن عون من الله للفتى

و فيها في معناها غير ذلك، و الإسم في اللغة ما دل على مسمى، و في الإصطلاح كلمة دلت على معنى في نفسها، و تعرضت بصيغتها للزمان، و هل الإسم عين المسمى أم لا؟ في ذلك كلام بين أهل السنة و المعتزلة، و الحق أن الخلاف بينهما لفظي. و على أنه خلاف المسمى قول من قال:

لما تلفظ باسم النار مخلوق³

لو كان من قال نارا أحرقت فمه

و مذهب أهل السنة هو نفس المسمى، و اسم الجلالة الله علم على الذات الواجب الوجود، الموصوف بالصفات المستحق لجميع المحامد، الدال على الله تعالى دلالة جامعة لمعاني أسماء الله الحسنى، فقولنا علم على الذات فيه رد على النصارى الذين يقولون أنه سبحانه و تعالى صفة و تلك الصفة قامت بسيدنا عيسى ابن مريم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، و قولنا الواجب الوجود فيه رد على الدهرية القائلين ما هي إلا أرحام تدفع و أرض تبلع و ما يهلكنا إلا الدهر، و قولنا الموصوف بالصفات فيه ردُّ على الظاهرية الذين نفوا الصفات كلها لا المعنوية و لا صفات المعاني و قوفا مع ظاهر القرآن و الحديث.

و قولنا المستحق لجميع المحامد فيه رد على المعتزلة الذين أثبتوا الصفات المعنوية لله تبارك و تعالى و نفوا عنه صفات المعاني، تنزه الله عن ذلك علوا كبيرا. و في قولنا الدال إلى آخره فيه إشارة إلى أنه هو اسم الله العظيم الأعظم، و عليه جمهور علماء الظاهر و جماعة من علماء الباطن، و قد ورد عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: ما بين بسم الله الرحمن الرحيم و الإسم الأعظم إلا ما بين سواد العين و بياضها

¹ سورة هود، الآية 48

² البيتان من شعر مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

³ البيت من شعر أبي نواس، و قبله بيت آخر و نصهما معا:

لأنه ساحر العينين معشوق
لما تقوه باسم النار مخلوق

يا من يوجه ألفاظي لأقبحها
لو كان من قال نارا أحرقت فمه

من القرب¹، و اختلف في الأبلغ من الرحمن الرحيم، فقيل هو الأول. و قيل الثاني. وقيل معناه واحد، و السر في اجتماع هذه الأسماء الثلاثة في البسمة هو أن العرب كانت تعرف المولى جل علاه بهذا الاسم و هو الله، و اليهود تعرفه باسم الرحمن لأنه معرب رحمان بالخاء المعجمة، و النصارى تعرفه بالرحيم، فقدم اسم الجلالة إشارة إلى تقديم العرب على غيرهم في الأفضلية، ثم بنو إسرائيل. قبل الإسلام لغيرهم إلا رتبة التأخير و قيل غير ذلك و لبعضهم:

و خصص الرحمان بالتقديم
لرحمة دنيا و أخرى أبدا
لأنه أبلغ من رحيم
و أنه بالله مختصا بدا

و في هذا القدر كفاية، و اعلم وفقني الله و إياك لما يحبه و يرضاه أنه ينبغي أيضا لكل خائن في فن أن يصوره أولا و يتكلم على مبادئه العشر، فلنذكر بعض ذلك هنا تنميما للفائدة، فأقول

قلادة مرصعة بالدرر في الكلام على المبادئ العشر

المبادئ العشر هي المجموعة في قولي:

لكل علم عندهم مبادي
واضع اسم حده استمداد
و فضله نسبته و الحكم
عشرة لحاضر أو بـادي
موضوعه مسائل مفاد
فاحفظ فلازالت علاك تسمو

و أما واضعه فهو سيدنا علي كرم الله وجهه على المشهور، و قد أشار إلى قضية وضعه ابن شعبان² في ألفيته بقوله:

¹ رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال: هو اسم من أسماء الله، و ما بينه و بين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين و بياضها من القرب. إهـ... المستدرک للحاكم (كتاب فضائل القرآن) 1: 738 رقم 2064. جامع الأحاديث و المراسيل (مسانيد الصحابة) حرف الياء 18: 253 رقم 5461. كنز العمال، للمنتقى الهندي (المجلد الثاني) 1: 275 رقم 4047.

² شعبان بن محمد بن داود الموصلی المعروف بالآثاري، نحوي أديب، من مواليد الموصل بالعراق سنة 765 هـ، له ما يزيد على ثلاثين مصنفا، معظمها في الأدب و النحو، منها ألفيته التي سماها: كفاية الغلام في إعراب الكلام، و العمدة في المختار من تخاميس البردة، و الحلاوة السكرية (أرجوزة في النحو) و وسيلة الملهوف عند أهل المعروف، و ديوان شعر، و شرح على ألفية ابن مالك في ثلاثة أجزاء، لم يتمه.

توفي بالقاهرة سنة 828 هـ، أنظر ترجمته في الضوء اللامع، للسخاوي 3: 301. شذرات الذهب، لابن عماد 8: 184. الأعلام للزركلي 3: 164. كشف الظنون، لحاجي خليفة 2: 1497.

أول من أفادنا النحو علي
عن بنته التي نوت تعجبا
و قال قولي ما أشد الحرا
فاستكرت مقالة أباهما
فقام في الوقت إلى الإمام
و قال عندي يا إمام من لحن
فما الذي يرمي إلى الصواب
قال الإمام اكتب و خذ مني
قال و ما أكتب قال البسمة
إسما و فعلا ثم حرفا منها
فالإسم ما أنبأ عن مسمى
و الحرف ما عداها للمقتبس

سببه خلف حكاة الدؤلوي¹
فاستفهمت برفع فعله أبيا
بالنصب في الدال الثقيل و الرا
فاستخبرت عن أصلها أباهما
و ارث علم سيد الأنمام
و اللحن في أبنائنا من المحن
و ما طريق الأجر و الثواب
و انقله بين التابعين عنني
و ضع ثلاثا في الكلام معلمه
ركبه و المعنى يلوح عنهما
و الفعل عن حركة المسمى
فانح على ذا النحو ثم زد و قس

حكى أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أن سبب وضعه للنحو أن أبا الأسود دخل على بنته بالبصرة. فقالت له: يا أبت ما أشد الحر؟ برفع أشد و جر الحر، فظنها تستفهمه أي زمان الحر، فقال: شهرنا حر. فقالت له: إنما أردت الإخبار و التعجب ولم أستفهمك. فأتى علي ابن أبي طالب فقال له يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب حين خالطهم العجم، و أخاف أن تضمحل لغة العرب، فضع لنا علما، فقال له: و ما ذلك؟ فأخبره بخبر ابنته، فأمره باشتراء صفحة، فاشتراها بدرهم، وأملى عليه قوله الكلام كله لا يخرج عن إسم و فعل و حرف جاء لمعنى، و انحو على هذا النحو²، وفي رواية أن ابنة أبي الأسود لما قالت له: إنما أردت الإخبار و التعجب. قال: قولي ما أشد الحر، و افتحي فاك، يعني بنصبهما معا على التعجب، و إلى هذا أشار شيخنا الشريف مولاي إبراهيم العلوي³ رحمه الله بقوله:

¹ ظالم بن عمرو بن ظالم، المشهور بأبي الأسود الدؤلوي، تابعي جليل، سكن البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، و ولي إمارتها إبان عهد علي كرم الله وجهه، له شعر جيد، و هو أول من نقط المصحف، كما أنه واضع علم النحو بإيعاز و توجيه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، توفي بالبصرة سنة 69.

أنظر ترجمته في الوافي بالوفيات، للصفدي 16: 305_308. وفيات الأعيان، لابن خلكان حرف الضاء 2: 235. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني 12: 10، الإصابة، للمؤلف نفسه 2: 241. بغية الوعاة، للسيوطي 2: 22_23 رقم 1334، سير أعلام النبلاء، للذهبي (الطبقة الأولى من التابعين) 3: 97 رقم 395.

² أنظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (أخبار أبي الأسود الدؤلوي و نسبه). الوافي بالوفيات، للصفدي 16: 306_307. سير أعلام النبلاء للذهبي (الطبقة الأولى من التابعين) 3: 97 رقم 395.

³ من عداد الشيوخ الذين أخذ عنهم العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، سبقت ترجمته ضمن الجزء الأول من هذه الرسائل.

فما أشد الحر بالنصب معا
ورفع الأول وجر الثاني
يرى تعجبا لدى من قد وعى
سمة بالإستفهام يا ذا الشان

و أما اسمه فهو من جهة الأحكام التركيبية يسمى بالإعراب، و هو المقصود هنا،
ومن جهة الأحكام الإفرادية فهو التصريف، و المصنف رحمه الله لم يتعرض لهذا،
وقد يطلق القسمين معا علم النحو، سمي به لقول سيدنا علي رضي الله عنه انح على
هذا النحو، و هو في اللغة يطلق على معان سبعة أشار إلى بعضها ابن شعبان بقوله:

النحو في اللغة أصل
وجهة قدر و قسم مثل

و أما حده فهو في الإصطلاح على أن التصريف غير داخل فيه علم يعرف به أحوال
الكلمة العربية إعرابا و بناء، و إليه أشرت في منهج الدراية في نظم النقاية¹ بقولي:

علم به يعرف أحوال الكلم
إعرابا أو بنا لديهم قد وسم²

و أما استمداده فهو كلام العرب. و أما موضوعه فهو الكلمات، لأنه يبحث فيه عن
عوارضها الذاتية من الإعراب و البناء و كيفية التركيب و غير ذلك، و أما مسائله
فهي قضاياها و قواعد، كقولنا الفاعل مرفوع. و المفعول منصوب. و المضاف إليه
مخفوض، و أما فائدته فقد أشار إليها ابن شعبان في ألفيته بقوله

فائدة النحو صلاح الألسنة
و الكشف عن وجه المعاني الحسنة

لأن به يعرف صواب الكلام من خطأه. و الإحتراز عن الخطأ في اللسان، مع
الإستعانة على فهم جميع العلوم عموما، و على فهم الكتاب و السنة خصوصا، ولذلك
قال الإمام مالك رضي الله عنه: لو صرت من العلوم في غاية، و من الفهوم في
نهاية، فإن ذلك يرجع لأصلين كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا
سبيل إليهما إلا بمعرفة اللسان العربي، و أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن شعبة:
إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار على رأسه مخللة ليس فيها شعير.

مثل الطالب الحديث و لا يعرف نحوا و لاله آياته
كحمار قد علقت ليس فيها
من شعير في رأسه مخلاته

¹ منهج الدراية في نظم النقاية، من تأليف العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، سبقت الإشارة
إليه ضمن الجزء الأول من هذه الرسائل.

² افتتح به باب علم النحو ضمن منظومته منهج الدراية في نظم النقاية، و هو البيت رقم 598
من المنظومة المذكورة.

و قال الكسائي رحمه الله:

النحو علم شريف
فربه في أمان
و فضل معناه باد
من زيغة في اعتقاد¹

و أما فضيلته فهي فوقانه على سائر العلوم بالنسبة و الإعتبار، فهو أصل أصيل في فهم معانيها وسلاسة مبانيها، و في مدحه يقول أبو حيان من قصيدة:

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده
و ما فضل الإنسان إلا بعلمه
و قد قصرت أعمارنا و علومنا
و في كلها خير و لكن أصلها
لقد فاز باغيه و أنجح قاصده
و ما امتاز إلا ثاقب الذهن و واقده
يطول علينا حصرها و نكابده
هو النحو فاحذر من جهول يعانده²

و أخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق الواقدي عن أبي الزناد عن أبيه: ما تزندق من تزندق بالمشرق إلا جهلا بكلام العرب و عجمة قلوبهم، و قال السيوطي في ألفيته³:

النحو خير ما به المرء عني
إذ ليس علم عنه حقا يعتني

و لذلك قال صلى الله عليه و سلم: أعربوا الكلام كي تعرفوا القرآن¹. و عن ابن عمر مرفوعا: أعربوا القرآن يدلکم على تاويله². و عن أبي داوود رضي الله عنه قال:

¹ قريب من هذا قول الشاعر:
رأيت العز في أدب و عقل
و ما حسن الرجال لهم بزين
كفى بالمرء عيبا أن تراه
و قريب منه أيضا قول الشاعر:
إن علم الإعراب شيء عجيب
فبه يرتقي سماء المعاني

و في الجهل المذلة و الهوان
إذا لم يسعد الحسن اللسان
له وجه و ليس له لسان
ينتقيه من العلوم اللبيب
و يحل المعنى العويص الغريب

² قريب من هذا قول الشاعر
النحو قنطرة إلى العلم —وم فهل
إن النحاة أناس بان مجدهم
أصل الفصاحة لا يخشون من أحد
فهل علمت بذيخ خاف من عنم
لو يعلم الطير ما في النحو من شرف

يجاز بحر على غير القناطر
فوق العباد جميعا بالمقادير
عند القراءة في أعلى المنابر
أو أجود الأسد ذلت للخنازير
غنت و رنت إليه بالمناقير

³ ألفية الحافظ السيوطي (في علم النحو) سماها الفريدة، جمع فيها بين ألفية ابن مالك و ألفية ابن معط، ثم شرحها بشرح مفيد سماه: المطالع السعيدة.

سمعت الأصمعي يقول: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي صلى الله عليه و سلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، لأنه لم يكن صلى الله عليه و سلم يلحن، فمهما رويت عنه و لحننت فيه كذبت عليه³، و من فضائل العربية أنه لم ينزل وحي على نبي إلا بها كما ورد في الحديث: لم ينزل وحي إلا بالعربية: ثم ترجم كل نبي لقومه⁴. أخرجه ابن أبي الثوري. ومنها أن كلام الجنة يكون بها، كما نص عليه غير واحد من الجلة من فحول الملة⁵. و من الآثار الواردة في ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مر عمر بقوم قد رموا رشقا فأخطأوا. فقال: ما أسوء رميكم، فقالوا: نحن متعلمين بالياء، فقال لهم: لحنكم عليّ أشد من سوء رميكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: رحم الله امرءا أصلح من لسانه⁶، و قال عمر رضي الله عنه أيضا: تعلموا العربية، فإنها تزيد في العقل و المروءة⁷.

¹ أنظر جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الهمزة مع العين) 1: 473 رقم 3282. فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف الهمزة) رقم 1150. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 198 رقم 1977. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الأول) 1: 187 رقم 2783.

² ذكره الحافظ السوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن 2: 175، و عزاه لأبي طاهر السلفي في كتابه الطيوريات.

³ أنظر تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي المزي 18: 388. تهذيب الراوي، للسيوطي 2: 106. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموي (الفصل الأول في فضل الأدب و أهله و ذم الجهل وحمله)

⁴ أنظر تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: و إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين، و عزاه فيه للتابعي الجليل سفيان الثوري.

⁵ إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم: أنا عربي، و القرءان عربي، و لسان أهل الجنة عربي. إهـ. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب ما جاء في فضل العرب 10: 25 رقم 16600 رقم 16602، المستدرک، للحاكم النيسابوري (كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم) 4: 98 رقم 7078.

⁶ أنظر كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد العاشر) 1: 2014 رقم 29344. مسند الشهاب القضاعي 1: 338 رقم 580. فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف الراء) 4: 24 رقم 4423.

⁷ أنظر جامع الأحاديث و المراسيل (مسانيد الصحابة) حرف الياء 18: 253 رقم 2306. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثالث) 1: 635 رقم 9037. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (حرف الشين المعجمة) 2: 561.

و قال سيدنا علي كرم الله وجهه:

و المرء تكرمه إذا لم يلحن
فأجلها منها مقيم الألسن¹

النحو يصلح من لسان الألكن
و إذا طلبت من العلوم أجلها

ولابن بشار و قد أجاد:

و عنوانه فانظر بماذا تعنون
يخبر عما عنده و يبين
فيسقط من عيني ساعة يلحن²

رأيت لسان المرء آية عقله
و لا تعد إصلاح اللسان فإنه
و يعجبني زي الفتى و جماله

و أما نسبته لباقي العلوم فهي التباين، و أما حكم الشرع فيه فهو الوجوب الكفائي على أهل كل ناحية، و العيني على قارئ التفسير و الحديث، و في هذا القدر كفاية.

التعريف بالمصنف رحمه الله تعالى

هو الشيخ الإمام الحجة الهمام أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الصنهاجي³، ولد رحمه الله سنة 672 هـ و هي السنة التي توفي فيها الإمام ابن مالك رحمه الله، و توفي

¹ اللحن آفة فظيعة، كثيرة المساوي، و مما وقفت عليه في هذا الموضوع قول مولانا علي كرم الله وجهه:

فتراه يسقط من لحاظ الأعين
حاز النباهة بالبيان المعلن

لحن الشريف يحطه عن قدره
و ترى الذكي إذا تكلم معربا

و منه أيضا قول بعض الشعراء:

يكون له الفخار على الرجال
و تكمل عنده جل الخصال

إذا ركب الفقيه جواد نحو
يقول مقالة من غير لحن

و منها أيضا قول شاعر آخر:

و به في كل علم ينتقع
مر في المنطق مرا فاتسع
هاب أن ينطق حيناً فانقمع
كان من نصب و من خفض رفع

إنما النحو قياس يتبع
و إذا ما أتقن النحو الفتى
و إذا لم يعرف النحو الفتى
فتراه ينصب الرفع و ما

² منهم من ينسب هذه الأبيات للعلامة المحدث يحيى بن عبد الحميد الحماني الكوفي، المتوفي بالكوفة بالعراق سنة 228 هـ.

³ المراد به محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، المعروف بابن أجروم، له غير متن الأجرومية مؤلفات أخرى: فرائد المعاني في شرح حرز الأماني، في مجلدين، يعرف بشرح الشاطبية.

أنظر ترجمته في النبوغ المغربي لعبدالله كنون 1: 210. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 312 رقم 794. درة الحجال في أسماء الرجال 2: 109. الأعلام للزركلي 7: 33. جذوة الإقتباس، لابن القاضي 1: 233_234 رقم 208. وفيات الونشريسي 104. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 1: 261 رقم 1051. كفاية المحتاج، للتبكتي 2: 252_253.

رحمه الله سنة 723هـ وهي السنة التي ازداد فيها ابن عرفة رحمه الله، و دفن داخل باب الحديد بمدينة فاس، صانها الله من كل باس، حكى عنه رضي الله أنه ألف هذا المتن تجاه بيت الله الحرام، و لما أكمله ألقاه في البحر، و قال: إن كان خالصا لله فلا يبئل و إلا فلا، فكان الأمر على وفق مراده، و لذلك نفع الله به جميع عباده، و الله الموفق للصواب، و إليه المرجع و المآب، ثم قال رحمه الله:

يحتمل عندي أن تكون هذه ترجمة. أي هذا باب الكلام كما فعل غير واحد، و هذا هو الرجح و المرجوح الاحتمال المقابل، و بدأ رحمه الله بالكلام عليه، لأن به يقع التقاهم و التخاطب، و من الألفاظ الإلهية حدوث الألفاظ اللغوية ليعبر بها عما كن في الضمير، فالكلام هنا هو المقصود بالذات، و به يجاب عن قول بعضهم: كان من حقه أن يتكلم على الكلمة ثم يعرف الكلام لأنها مفردة و هو مركب، و معرفة المفرد سابقة عن المركب، و أل فيه للعهد الذهني أي الكلام المعهود في الأذهان، و هو كلام النحويين، و يحتمل أن تكون عوضا عن مضاف إليه، و ذلك المضاف إليه إما أن يكون إسما أو مضمرا، فيكون الأصل كلام النحويين هو كذا، أو كلامنا معشر النحويين. و المصنف من جملة النحاة هو كذا، و ذلك لأن الكلام في كل اصطلاح بحسبه، فهو في اللغة عبارة عن القول أو ما كان مكتفيا به. فيطلق عندهم على الإشارة، و منه قوله تعالى: قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا¹. و الرمز الإشارة، و منه قول الشاعر:

إذا كلمتني بالعيون الفواتر
فلم يعلم الواشون ما كان بيننا
رددت عليها بالدموع البوادر
و قد قضيت حاجاتنا بالضمائر²

و يطلق على لسان الحال، و منه قوله تعالى: يوم يقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد³. و قيل كلامها يكون حقيقة، و منه قول الشاعر:

إمتلأ الحوض و قال قطني
مهلا رويدا قد ملأت بطني

¹ سورة آل عمران، الآية 41

² وقفت على تشطير لهذين البيتين للشاعر حسن حسني باشا الطويراني المتوفي بالقاهرة سنة 1315 هـ، و نص تشطيره كالتالي:

إذا كلمتني بالعيون الفواتر
و إن أرغمت أمرا علي امتثاله
و لم يعلم الواشون ما كان بيننا
لقد جهلت أمري و عابوا تذلي
جعلت لها الأجنان قلبي و خاطري
رددت عليها بالدموع البوادر
و ما تفعل الأشجان بين السرائر
و قد قضيت حاجاتنا في الضمائر

³ سورة قاف، الآية 30

و يطلق على المعنى القائم بالنفس، و هو حديث النفس، و منه قول الأخطل:
إن الكلام لفي الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

و يطلق على التكلم. و منه قول الشاعر:
قالوا كلامك هذا و هي مصغية

يشفيك قلت صحيح ذاك لو كانا

و هو اسم مصدر لكلم، و في اصطلاح الفقهاء، و هو ما أبطل من حرف كم، أو حرفين كقم، أفاد أو لم يفد، إذا تعمد ذلك المصلي تبطل صلاته، و عند المتكلمين هو المعنى القائم بالذات العلية المعبر عنه بالعبارات المختلفة، المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزه عن البعض و الكل و التقديم، و التأخير و السكون، و اللحن و الإعراب، و سائر أنواع التغيرات المتعلقة بما يتعلق به العلم من المتعلقة كما في المقدمات. و الكلام بفتح الكاف مشتق من الكلام بكسرهما جمع كلمة و هي الجرحة جمعاً قياسياً قال ابن مالك:

فعل و فعلة فعال لهما و قل فيما عينه ليا منهما¹

و من إطلاق الكلام على الجراح قول الشاعر:
أجدك ما لعينك لا تنام

كأن جفونها فيها كلام²

¹ البيت من ألفية ابن مالك، و هو البيت رقم 808 من الألفية المذكورة
² البيت من شعر الصحابي الجليل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هو مطلع قصيدة له في رثاء النبي صلى الله عليه و سلم، و تمام هذه القصيدة كالتالي:

أجدك ما لعينك لا تنام	كأن جفونها فيها كلام
لأمر مصيبة عظمت وجلت	و دمع العين أهوته انسجام
فجعنا بالنبي و كان فينا	إمام كرامة نعم الإمام
و كان قوامنا و الرأس فينا	فحن اليوم ليس لنا قوام
نموج و نشنكي ما قد لقينا	و يشكو فقده البلد الحرام
كأن أنوفنا لاقين جدعا	لفقد محمد فيه اصطلام
لفقد أعر أبيض هاشمي	تمام النبوة و به الختام
أمين مصطفى للخير يدعو	كضوء البدر زايله الظلام
سأتبع هديه ما دمت حيا	طوال الدهر ما سجع الحمام
أدين بدينه و لكل قوم	تراهم من ذؤابته نظام
فقدنا الوحي مذ وليت عنا	وودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا	توارثه القراطيس الكرام
فقد أورتتنا ميراث صدق	عليك به التحية و السلام
من الرحمان في أعلى جنان	من الفردوس طاب بها المقام
رفيق أبليك إبراهيم فيها	فهل في مثل صحبتته ندام
و إسحاق و إسماعيل فيها	بما صلوا لربهم و صاموا
فلا تبعد فكل كريم قوم	سيدركه و لو كره الحمام
كان الأرض بعدك طار فيها	فأشعلها بساكنها ضرام

و المعنى الجامع بين الإشتقاق هو التأثير في كل من الكلام و الجراح، و ذلك أن الكلام إذا كان حسنا أثر في النفس سرورا، و إذا كان قبيحا أثر فيها تغييرا و أضعف فيها سرورا، و قد يطب الجراح بالكلام الطيب، و أما تأثير الكلام فلا دواء له كما قيل:

جراحات السنان لها التئام و لا يلتام ما جرح اللسان

و قد أجاد القائل في قوله:

و داوي بلين ما جرحت بغلظة فطب كلام المرء طيب كلامه

و أما الكلام بضم الكاف فهي الأرض التي لا تثبت شيئا، و إلى هذا أشار شارح مثلث قطرب¹ بقوله:

أما الحديث فالكلام و الأرض الصبغة الكلام و الجرح في المرء الكلام لليبس و التصبب

¹ مثلث قطرب، نسبة للعلامة النحوي محمد بن المستنير، يعرف بقطرب، و هو أحد تلامذة سيبويه، توفي سنة 206 هـ، و يسمى كتابه: المثلث في اللغة، و قد شرحه جماعة من العلماء منهم: عبد الوهاب بن الحسن المهلب، و محمد بن جعفر القيرواني، و عمر بن محمد ابن عديس، و قد شرحه هذا الأخير في عشرة أجزاء.